



## خاتم المرسلين

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

# حَمَدُو

ويصحح لهم ما اندر من أنسن  
العدالة والرحمة.

## رحمة للعالمين

أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً صلوات الله عليه وآله وسلامه رحمة لكل المخلوقات، يقول تعالى: «وَمَا رَسَّانَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (الأنبياء: ١٠٧)، ويقول صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إنما أنا رحمة مهدأة».

فرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه رحمة للبشر في حياته بسعيه بينهم هادياً وبشيراً، وهو رحمة للبشر بعد مماته ما داموا متزمنين بسننه، يقول تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنَّ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْعَفُونَ» (الأنفال: ٢٢).

بل إن رحمته صلوات الله عليه وآله وسلامه تمتد لتشمل البشر حتى في أحلق المواطن التي

إِلَى الْتُّورِ يَأْذِنُ رَبِّهِمْ إِلَى صَرَاطِ  
الْعَرِيزِ الْجَمِيدِ» (ابراهيم: ١).

فقد بعث رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بعد انقطاع الوحي عن العالم قرابة سنتنة سنة، عقب نبأ الله عيسى ابن مريم، عليه السلام، وقد رزق العالم تحت وطاء ضلالات الجاهليّة، وتحت نير ظلم العباد بعضهم البعض، حيث انتشرت لغة الحياة للأقوى ولو كان ظلماً، وانتزوت الأخلاق الحميدة فلم تجد من يوازِرها سوى قلة من تمسكوا بالمبادئ القويمية، سواء استناداً إلى بعض الشيء التي زسختها العادات والتقاليد، أو استناداً إلى القواعد الأخلاقية الواردة في الكتب السماوية السابقة التي لم يتناولها المفسدون بالتعريف.

في هذا الخضم المظلم بعث الله سبحانه وتعالى رسوله بالهدى ودين الحق ليضع للناس مبادئ الحياة القويمية.

بعث الله سبحانه وتعالى محمداً صلوات الله عليه وآله وسلامه للعلمين نبياً خاتماً للرسالات ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكان نموذجاً للإنسان الكامل، يقتدي به في كل سلوك طيب، وكان رحمة للعالمين، يتسم عبر تلك الرحمة بالحجر والشجر والطير والحيوان والجن والبشر.

كفى به وصفاً كريماً أن يصفه الخالق جل وعلا بقوله سبحانه: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤)، فبات صلوات الله عليه وآله وسلامه نبراساً للأخلاق الحميدة ينشرها بين الناس كافة.

رسول الله هو سبب دخولنا الجنة، وقد بعثه المؤلِّ عز وجل بالقرآن الكريم ليخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، يقول تعالى: «أَلَّرَكِتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ

يا رسول الله، وما أطيب سيرتك.

### مكارم الأخلاق

إن الناظر إلى حال الأمم قبلبعثة الرسول ﷺ يجد أنه رغم انتشار المفاسد في المجتمعات الإنسانية بشكل عام، فإنه كانت هناك بعض التقاليد والمبادئ لا تزال باقية من ناحية، وكانت هناك بعض الآثار المستقاة من المبادئ الدينية التي جاء بها الأنبياء من قبل من ناحية أخرى، من ذلك ما تواافق عليه بنو هاشم وبنو تميم وبين زهرة من عقد حلف أسموه «حلف الفضول» بقصد نصرة المظلوم ورد الحق إليه في مكة المكرمة قبلبعثة رسول الله ﷺ.

ثم جاء رسول الله ﷺ برسالة شاملة هدفها إرساء العدل على الأرض، ووضع المبادئ التي تكفل ترسیخه في المجتمع، فها هو ينبعنا عن نفسه فيما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنما بعثت لأنتم صالح الأخلاق».<sup>(١)</sup>

### ختام الرسالات

لقد بعث الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء كلا منهم إلى قومه فقط ليعالج فيهم سلوكاً معيباً قد استشرى بينهم، وليعود بهم إلى جادة الصواب التي ضلوا عنها، وقد تباعدت المسافات بين كل مجتمع وغيره من المجتمعات على وجه الأرض.

فلمما سبق في علم الله سبحانه وتعالى أن العالم كله سيصبح كقرية واحدة بتطور وسائل الانتقال والاتصال، وهو ما سيؤدي إلى أن تصبح الآفات الأخلاقية والسلوكية

فيقول ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها: فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض».<sup>(٢)</sup> ويستشعر ﷺ ألم أحد الطيور حين أخذ بعض الصحاة منها أفراخها فاشتكت إليه، فأمرهم بعدم ترويعها، وإعادة أفراخها إليها، رحمة بها، فيما يرويه عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قائلاً: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق حاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاء النبي ﷺ فجعلت تعرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من ففع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها».<sup>(٣)</sup>

حتى النبات تدركه رحمة رسول الله ﷺ، هيامتنا برعايته وتعهده ابتناء الثواب من الله سبحانه لهقاء ما ينفع به الناس من ثمارها ومن ظلها، حتى يقول ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فيلغيرها».<sup>(٤)</sup>

بل وحتى الجذوع المقطوعة البالية تستشعر رحمته، فعن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر، وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ، فوضع يده عليها، فسكنت».<sup>(٥)</sup>

بل والجماد كذلك تدركه رحمة رسول الله ﷺ، فيخبرنا عليه السلام أن الجمام يحس ويشعر! فيقول ﷺ عن جبل أحد: «أحد جبل يحبنا وتحبه».<sup>(٦)</sup>، فما أرحمك

قد تغيب فيها الرحمة عن أذهان أغلبهم، ألا وهي مواطن الحرب مع الأعداء، في ipsum للجيش الإسلامي مبادئ تفتقد لها كل الجيوش على وجه الأرض وعلى مدار الأزمان، ففيما يرويه أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله وبإلهه وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين».<sup>(٧)</sup>

كما تشمل رحمته ﷺ العالمين، فجاءت رسالته لخاطب الجن كما تخطّب الأنس بما هم مكلفوون به من عبادات، ومن ثم فهو سبب لبلوغ الجن الجنة إذا سمعوا وأطاعوا.

يقول تعالى: «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرَ مِنَ الْجِنِّ يَسْتَعُونَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوْا فَلَمَّا فُضِّلَ رَأَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْدِرِينَ ٤٩ قَالُوا يَقُولُونَا إِنَّا سَعَنَا كِتَابًا أَنْزَلْنَا مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِنَّ طَرِيقَ مُسْتَقِيمٍ ٥٠ يَنْقُومُنَا أَجْيَانُ دَاعِيَنَ اللَّهُ وَمَاءِنُوا بِهِ يَقْرَرُ لَكُمْ مِنْ ذُوُبُكُوكَ وَجِرْكُوكَ مِنْ عَدَائِي أَلْيَر٤٩ (الأحقاف: ٢٩-٣١)، فضلاً عما ورد من أحكام في «سورة الجن» تؤكد شمول رحمته ﷺ بالجن: هداية وتوجيهاً.

بل إنه قبل ظهور جمعيات الرفق بالحيوان يقررونها هو المعموت رحمة للعالمين يرسخ جل معاني الرفق بالحيوان، والأمثلة من السنة المطهرة كثيرة، فيحذر من حبس الحيوان، وحرمانه من الطعام،

النعمـة، وجعل أمة الإسلام أمة سـطا شـهـاء على النـاسـ، وبـعـثـ فيـهـمـ رسـولـهـ رـحـمـةـ لـلـعـالـمـينـ، فـبـلـغـ الرـسـالـةـ، وـأـدـىـ الـأـمـانـةـ، فـاـرـقـعـتـ بـهـ رـاـيـةـ الـإـسـلـامـ عـالـيـةـ، وـاـنـشـرـتـ بـهـ رـاـيـةـ الـإـسـلـامـ عـالـيـةـ، وـاـنـشـرـتـ دـيـنـ الـحـقـ حـتـىـ مـلـاـ إـرـجـاءـ الـعـمـورـةـ، وـعـلـمـ الـمـسـلـمـوـنـ الـعـالـمـ أـجـمـعـ قـوـادـعـ الـعـدـلـ، وـالـتـسـامـحـ، وـالـرـفـقـ، وـالـرـحـمـةـ بـالـإـنـسـانـ وـالـحـيـوانـ وـالـطـيـرـ، وـرـسـخـ الـمـسـلـمـوـنـ مـفـاهـيمـ الـإـصـلـاحـ فـيـ الـأـرـضـ، فـنـشـرـوـاـ الـعـلـمـ فـيـ كـلـ الـأـرـضـ، إـرـجـائـهـ الـعـمـورـةـ، فـكـانـوـاـ بـحـقـ عـنـوـانـاـ لـلـإـنـسـانـيـةـ الـرـاقـيـةـ حـتـىـ دـخـلـ الـكـثـيرـ منـ النـاسـ فـيـ دـيـنـ الـلـهـ أـفـواـجاـ.

وـصـدـقـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ حـيـثـ خـاطـبـ الرـسـولـ مـحـمـداـ ﷺ قـاتـلاـ: «فـيـمـاـ رـحـمـتـ مـنـ اللـهـ لـيـنـتـ لـهـمـ وـلـوـ كـثـيـرـ فـيـنـاـ فـيـ طـرـيـقـ الـقـلـبـ لـأـنـفـصـوـاـ مـنـ حـوـلـكـ فـأـعـفـ عـنـهـمـ وـأـسـتـغـفـرـ لـهـمـ وـشـاؤـهـمـ فـيـ الـأـمـرـ فـإـذـاـ عـمـتـ فـتـوـكـلـ عـلـىـ اللـهـ إـنـ اللـهـ يـحـبـ الـمـتـوـكـلـينـ» (آل عمران: ١٥٩).

وـسـطـاـ لـيـقـيمـ الـمـلـةـ الـعـوجـاءـ، وـلـيـتمـ بـهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ نـعـمـتـهـ عـلـىـ النـاسـ، حـيـثـ يـنـهـيـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ النـاسـ عـنـ التـعـرـضـ لـلـأـنـبـيـاءـ وـالـرـسـلـ بـالـإـسـاءـةـ مـنـ نـاحـيـةـ، فـتـنـزـلـ عـلـيـهـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ: «إـمـاـ رـأـيـوـلـ إـنـزـلـ إـلـيـهـ مـنـ رـبـهـ، وـإـلـمـؤـمـونـ كـلـ كـلـ عـامـنـ بـالـلـهـ وـمـلـئـكـهـ، وـكـثـيـرـ وـرـسـلـهـ، لـاـ تـفـرـقـ بـيـنـ أـخـرـوـنـ رـسـلـهـ، وـكـالـأـوـاـ سـوـقـنـاـ وـأـطـعـنـاـ غـفـرـانـكـ رـبـكـ وـإـيـكـ الـمـصـيـرـ» (البقرة: ٢٨٥).

كـمـاـ يـنـهـيـ ﷺ عـنـ الشـرـكـ بـالـلـهـ بـاتـخـاذـ الـأـنـبـيـاءـ أـرـبـابـاـ مـنـ دـوـنـهـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ، فـتـنـزـلـ عـلـيـهـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ: «قـلـ هـوـ اللـهـ أـحـدـ ۚ أـللـهـ أـصـكـمـ ۖ لـمـ يـكـلـدـ وـلـمـ يـوـلـدـ ۖ وـلـمـ يـكـنـ لـهـ كـمـوـاـ أـحـدـ ۖ» (الإخلاص: ٤-١).

وـيـلـمـ يـعـلـمـ ﷺ النـاسـ الـدـيـنـ مـنـ خـلـالـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـالـسـنـةـ الـمـطـهـرـةـ، فـلـاـ يـدـعـ صـغـيرـةـ لـاـ كـبـيرـةـ إـلـاـ وـيـبـيـنـهـ لـهـمـ، حـتـىـ قـالـ لـأـصـحـابـهـ: «تـرـكـتـكـمـ عـلـىـ الـبـيـضـاءـ لـيـلـهاـ كـنـهـارـهاـ لـاـ يـزـيـغـ عـنـهاـ بـعـدـيـ إـلـاـ هـالـكـ، وـمـنـ يـعـشـ مـنـكـمـ فـسـيـرـىـ اـخـتـلـافـاـ كـثـيـراـ فـعـلـيـكـمـ بـمـاـ عـرـفـقـمـ مـنـ سـنـتـيـ وـسـنـةـ الـخـلـفـاءـ الـمـهـدـيـنـ الـرـاشـدـيـنـ، وـعـلـيـكـمـ بـالـطـاعـةـ وـإـنـ كـانـ عـبـدـاـ حـبـشـيـاـ عـضـوـاـ عـلـيـهـاـ بـالـتـوـاجـدـ».

وـحـتـىـ خـاطـبـ الـمـوـلـىـ جـلـ وـعـلـاـ عـبـادـهـ، فـتـنـزـلـ الـآـيـاتـ يـوـمـ عـرـفـةـ: «إـلـيـومـ أـكـلـتـ لـكـمـ وـيـكـمـ وـأـتـمـ عـلـيـكـمـ يـعـقـيـ وـرـضـيـتـ لـكـمـ إـلـيـسـلـمـ وـيـنـاـ» (المائدة: ٢).

فـقـدـ تـفـضـلـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ عـلـىـ الـعـبـادـ بـكـمـالـ الـدـيـنـ وـبـتـمـامـ

مـتـشـابـهـ فـيـ كـلـ الـمـجـمـعـاتـ، حـيـثـ تـنـتـقـلـ عـدـوـاـهـ بـيـنـهـاـ لـحـظـياـ، كـانـ مـقـتـضـىـ الـمـنـطـقـ أـنـ الـعـالـمـ أـجـمـعـ يـحـتـاجـ إـلـىـ رـسـولـ وـاحـدـ خـاتـمـ يـهـديـهـ، وـأـنـ الـعـالـمـ أـجـمـعـ يـحـتـاجـ إـلـىـ كـتـابـ سـمـاـويـ وـاحـدـ يـتـلـقـيـ مـنـهـ الـمـنـهـجـ، وـيـكـوـنـ فـيـ ذـاـتـهـ مـعـجـزـةـ وـرـسـالـةـ إـلـىـ كـلـ الـبـشـرـ فـيـ الـوقـتـ ذـاـتـهـ تـتـاقـلـهـ كـلـ وـسـائـلـ الـاتـصالـ فـانـقـةـ السـرـعةـ، فـأـرـسـلـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ مـحـمـداـ ﷺ بـالـإـسـلـامـ، وـأـيـدـهـ بـالـقـرـآنـ الـكـرـيمـ مـعـجـزـةـ وـمـنـهـاـجـاـ تـعـهـدـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ بـحـفـظـهـ مـنـ تـحـرـيفـ الـبـشـرـ وـإـفـسـادـ الـمـفـسـدـيـنـ بـقـوـلـهـ جـلـ وـعـلـاـ: «إـنـاـ نـخـنـ نـزـلـنـاـ الـذـكـرـ وـإـنـاـ لـهـ لـخـفـطـونـ» (الـحـجـرـ: ٩).

ذـلـكـ أـنـ الـأـمـمـ السـابـقـةـ حـيـنـ جـاءـتـهـمـ الـكـتـبـ الـسـمـاـويـةـ مـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ حـرـفـواـ كـلـمـانـهـ مـرـةـ بـالـزـيـادـةـ وـمـرـةـ بـالـنـقـصـانـ بـمـاـ يـتـقـنـ وـأـهـوـاـهـمـ، وـبـمـاـ يـحـقـقـ رـغـبـاتـهـمـ الـدـنـيـوـيـةـ الـخـبـيـثـةـ. فـهـاـمـ بـمـاـ يـهـيـودـ يـعـرـفـوـنـ التـوـرـاـتـ الـتـيـ أـرـسـلـ بـهـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ، فـيـحـرـفـوـنـ الـكـلـمـ عـنـ مـوـاضـعـهـ فـيـهـاـ، حـتـىـ أـسـابـواـ إـلـىـ الـخـالـقـ سـبـحـانـهـ، وـالـأـنـبـيـاءـ وـالـهـمـوـهـمـ بـأـبـشـعـ التـهـمـ، بـلـ وـاتـهـمـوـاـ بـعـضـهـمـ بـالـكـفـرـ، ذـلـكـ فـضـلـاـ عـنـ سـعـيـهـمـ إـلـىـ قـتـلـ أـنـبـيـاءـ اللـهـ وـفـتـكـهـمـ بـهـمـ غـيـرـ مـيـالـيـنـ بـعـقـابـ اللـهـ السـمـيـعـ الـبـصـيرـ.

وـهـاـمـ الـنـصـارـىـ يـعـرـفـوـنـ الـإـنـجـيلـ الـذـيـ أـرـسـلـ بـهـ يـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ، فـيـؤـلـهـوـنـهـ، وـيـدـعـوـنـ عـلـيـهـ مـاـ لـمـ يـقـلـهـ مـنـ أـنـهـ إـنـ اللـهـ تـعـالـىـ اللـهـ عـنـ ذـلـكـ عـلـوـاـ كـبـرـاـ، فـيـتـخـدـونـهـ وـأـمـهـ الـهـيـنـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ، بـلـ وـيـتـخـدـونـ أـحـبـارـهـمـ وـرـهـبـانـهـمـ أـرـبـابـاـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ، ظـالـمـينـ بـذـلـكـ أـنـفـسـهـمـ، وـالـلـهـ سـمـيـعـ عـلـيـمـ، وـبـيـنـ تـفـريـطـ الـيـهـودـ وـأـفـرـاطـ الـنـصـارـىـ، أـتـىـ الـإـسـلـامـ دـيـنـاـ قـيـمـاـ

## الهوامش

- 1- رواه ابن سعد، ١٩٢/١، وابن أبي شيبة ١١/٥٠٤، والحاكم ٣٥/١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بطرفة، برقم ٤٩٠.
- 2- أخرجه أبو داود ٢٦١٤.
- 3- رواه البخاري: ٣٣١٨.
- 4- رواه أبو داود والحاكم وصححه الألباني.
- 5- رواه أحمد: ١٢٩٠٢.
- 6- رواه البخاري: ٣٥٨٥.
- 7- رواه البخاري: ٤٤٢٢.
- 8- رواه البخاري في «الأدب المفرد»، رقم ٢٧٢.